٥ - فهرس المحتويات:

وهو يشتمل على جميع عناوين البحث الرئيسية، من كتب، وأبواب، وفصول، ومباحث، ومسائل... ويوضع رقم الصفحات على يسار الصفحة، ومن المفضَّل وضع العناوين الرئيسية في وسط الصفحة لإبرازها.

ويُفَضّل بعضُ الباحثين وضع هذا الفهرس في أوّل البحث، بعد المقدّمة، ليكون القارئ على علم بمحتوياته قبل الدخول بقراءته، بينما يفضّل البعض الآخر وضعه في آخر البحث، وهو المفضّل الذي جرى عليه المتأخّرون.

هذه هي أهم الفهارس الرئيسية التي لا غنى عنها لكل بحث، وننتقل للكلام عن الفهارس المتخصصة.

ثانياً: الفهارس المتخصّصة

هناك أنواع من الفهارس الخاصّة بكل بحث ينبغي وضعها، وتساعد القارئ أيضاً على استخراج مسائله من الكتاب بسهولة وسرعة، ويعود تقدير هذه الفهارس لموضوع البحث، فالبحث النحوي يحتاج لذكر فهرس الأدوات والمواضيع النحوية، والموضوع التاريخي يحتاج لوضع فهرس الأمكنة والأزمنة والأيام والتواريخ المشهورة، إما على حروف الهجاء، أو على السنين، والبحث الفقهي الواسع يحتاج إلى فهرس يكشف عن مسائله الفقهية بسهولة، والبحث الأدبي يحتاج إلى فهرس للأشعار والأمثال، والبحث البيليوغرافي الغني بذكر الكتب والرسائل، يحتاج إلى فهرس بأسماء الكتب والرسائل على ترتيب حروف المعجم... وهكذا تفرض طبيعة كل بحث نوعاً متخصصاً من الفهارس لا تتطلّبه الأبحاث الأخرى.

صفحة العنوان

إنّ صفحة عنوان البحث هي أهم صفحة فيه، ويجب أن تحتوي على المعلومات التالية: اسم الجامعة، والقسم، وعنوان البحث، والدرجة العلمية، واسم الطالب، واسم المشرف، وبلد التقديم، وسَنَته، على النحو التالي:

جامعة بيروت الإسلامية
كلية الشريعة
قسم الدراسات الإسلامية

الصَّـــلَاحُ
في القرآن الكريم

(رسالة ماجستير)

إعداد
أحمد شيخ صالح

إشراف
د. يوسف المرعشلي

بيروت
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

تجليد البحث

بعد طباعة البحث وتصحيحه، ووضع الفهارس العلمية اللازمة له، وموافقة الإدارة على الطبع يقوم الباحث بتصوير ١٠ نسخ من بحثه بصورته النهائية، ويراقب تسلسل صفحاتها واكتمالها، وعدم وجود أية مشكلة فيه من تقديم أو تأخير، أو نقص، ثم يدفعها للتجليد، ويفضل أن يكون الجلد أسودا، ويكتب على صفحة العنوان بالحرف المذهّب ما كتبه في صفحة العنوان الداخلية.

ويفضل البعض كتابة اسم البحث، واسم الباحث واسم الجامعة على الكعب الأيمن للكتاب أيضاً.

ثم يسلّم الطالب ثماني نسخ لإدارة الجامعة، لتسلّمها بدورها إلى قُرّاء البحث الذين يختارهم القسم لمناقشة الرسالة، ويمهلهم مدة أقصاها ثلاثة أشهر لكتابة تقاريرهم حولها، ويكون عدد قُرّاء رسالة الدبلوم أو الماجستير اثنين، ورسالة الدكتوراة ثلاثة - سوى المشرف - وهذه التقارير إما أن تكون إيجابية أو سلبية، وفي حال كونها سَلبية يطلب من الطالب إجراء التعديلات المطلوبة في بحثه قبل المناقشة.

تحدِّد إدارة الجامعة بعد ذلك موعد المناقشة بعد استشارة الأستاذ المشرف وقُرّاء البحث، وتبلّغ الطالب بموعد المناقشة بقرار رسمي، ويُعلن عن موعد المناقشة، ويعلّق على لوحة الإعلانات، ويطبع من القرار عدّة نسخ، ويمكن نشر الإعلان في الصحف والوسائل الإعلامية وفي جامعات أخرى لدعوة الجمهور من الأهل والأساتذة والطلاب ومن يهمّه الأمر لحضور المناقشة.

يُحَضّر الطالب نفسه للمناقشة، ويستحسن له حضور مناقشات رسائل جامعية لتلاميذ قبله ليتعرّف على أسلوب المناقشة وطريقتها.

المبحث الرابع

مناقشة البحث

وهي المرحلة النهائية للبحث، وخاتمة العمل فيه، ويُطلب من الطالب فيها هُدوء الأعصاب، والتحلّي بالأدب والأخلاق وسعة الصدر لما سيسمعه من انتقادات وملاحظات من الأساتذة المُناقشين، وهذه الأمور تدخل في تقويم الرسالة ودرجتها، إضافة لمادّتها العلمية.

تجتمع اللجنة برئاسة المشرف على البحث الذي يمهّد بكلمة عن موضوع البحث وأهمّيته، وعن جهد الطالب فيه، وموقفه منه، ورضاه عنه وعن عمله، ثم يطلب منه عرضاً موجزاً لبحثه في غضون ١٠-١٥ دقيقة.

فعلى الطالب تحضير هذا العرض الموجز لبحثه قبل المناقشة، لقراءته وإملائه على اللجنة والحضور، ويحتوي هذا العرض على تحية اللجنة، وأسباب اختيار بحثه، وأهميته، وخطّته في تقسيمه، وشكراً وتقديراً لأعضاء اللجنة وخاصة لأستاذه المشرف.

تبدأ المناقشة بعد فراغ الطالب من قراءة عرضه، وتكليف رئيس اللجنة أحد المناقشين الذي يكون قد سجّل ملاحظاته على البحث حين قراءته له قبل المناقشة، خلال مهلة الثلاثة أشهر، ويبدأ المناقِش الأول باستعراض جميع ملاحظاته على المضمون والشكل واحدة واحدة، حتى الفراغ منها، وقد يَطْلُب من الطالب إجابَتَهُ عن بعض المسائل، فيجب عليه أن يكون جاهزاً وحاضراً للإجابة على جميع تساؤلات المناقشين بهدوء وأدب ووقار وبرهان.

وبعد أن ينتهي جميع أعضاء اللجنة من عرض ملاحظاتهم، يُطلب الاختلاء لتقويم الرسالة وتقدير علامتها، ثم يُعلن رئيس اللجنة النتيجة بقراءة القرار الصادر عن اللجنة والمُوقَّع منهم جميعاً.

تُعلن النتيجة بعد ذلك وتُعمَّم في لوحات الجامعة، ويُبَلَّغ الطالب قراره رسمياً. وبذلك ينتهي الباحث من بحثه ويصبح صالحاً لنشره وطبعه إذا رغب بذلك.

بعد أن استعرضنا أصول وقواعد كتابة الأبحاث ننتقل إلى بيان القواعد الخاصة بتحقيق المخطوطات وهو ما سنتكلم عنه في الباب الثاني بالتفصيل.

الباب الثاني

تحقيق المخطوطات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المرحلة النظرية الإعدادية، اختيار المخطوط، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : تحديد اختصاص المخطوط.

المبحث الثاني : أهم مراكز المخطوطات في العالم.

المبحث الثالث : اختيار المشرف على التحقيق.

المبحث الرابع : اختيار عنوان المخطوط وشروطه.

المبحث الخامس : أهم الفهارس التي تبين المخطوطات المطبوعة.

الفصل الثاني: المرحلة العملية، تحقيق المخطوط، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : الحصول على المخطوط.

المبحث الثاني : دراسة النسخ وتقييمها.

المبحث الثالث : نسخ المخطوط والمقابلة بين النسخ.

المبحث الرابع : التعليق على المخطوط.

المبحث الخامس : كتابة المقدمة والخاتمة.

الفصل الثالث: المرحلة النهائية، الطباعة والمناقشة، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : الطباعة.

المبحث الثاني : التصحيح.

المبحث الثالث : الفهرسة.

المبحث الرابع : التجليد.

المبحث الخامس : المناقشة.

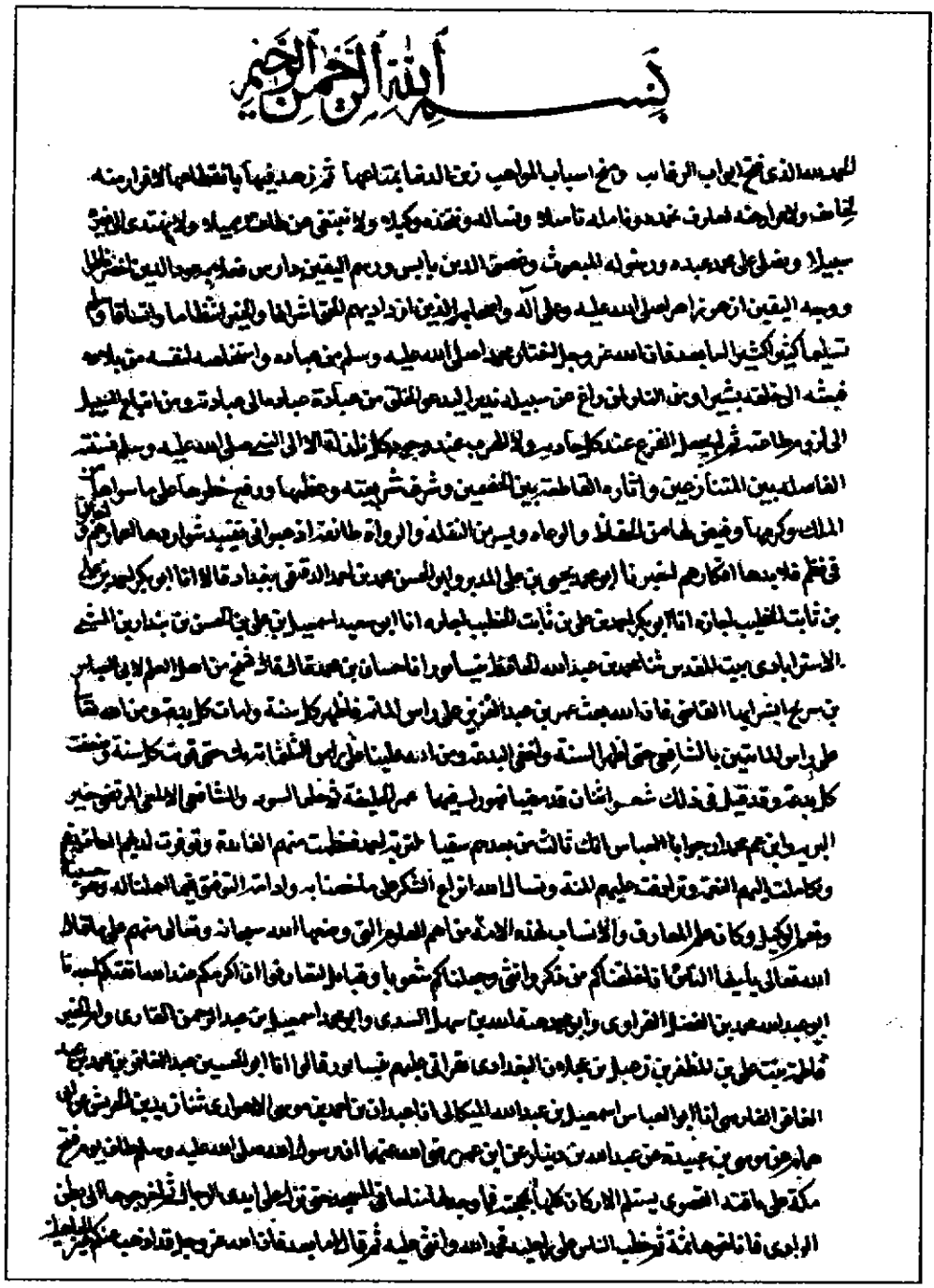

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الصفحة الأولى من كتاب الأنساب للسمعاني

الفصل الأول

المرحلة النظرية الإعدادية

اختيار المخطوط

ذكرنا فيما سبق إن الباحث مخيّر في بحثه بين أمرين، فهو إما أن يُعِدَّ بحثاً جديداً، أو أن يُحقّق كتاباً مخطوطاً لأحد الأئمة السابقين.

يقول الدكتور رمضان ششن في مقدمة كتابه «**المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**»: (إن المستشرق الألماني كارل بروكلمان حينما فهرس للمخطوطات العربية الإسلامية، أغفل كثيراً من المخطوطات في تركيا، لذلك وضعتُ كتابي هذا استدراكاً عليه، ويُقدَّر عدد المخطوطات العربية في مكتبات تركيا وحدها بثلاثة ملايين مخطوط، سوى ما يظهر يومياً من المكتبات الخاصة لكبار العلماء).

كما يُقدّر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، بما في ذلك من مكررات للنسخة الواحدة، ولم يُطبع منها حتى الآن معشار عشرها، وهي تشكّل بمجموعها ثروة علمية هائلة في شتى فروع المعرفة بحاجة لمن يظهرها إلى عالم الطباعة ليتنفع بها المسلمون، ولذلك أُدخِل تحقيق المخطوطات إلى الدراسات العليا في الجامعات مؤخراً.

وسنتكلم في هذا الباب عن أصول تحقيق المخطوطات وإخراجها إلى عالم الطباعة، وقد قسمنا البحث فيه إلى ثلاثة فصول حَسَب المراحل التي يمرّ فيها الباحث **الأول**: المرحلة الإعدادية النظرية، وهي التي يختار فيها الباحث مخطوطته، **والثاني**: المرحلة العملية، وهي التي يحقق فيها المخطوط فينسخ نصّه ويقابله ويعلّق عليه، **والثالث**: المرحلة النهائية، وهي التي يطبع فيها المخطوط ويفهرسه ويجلّده ويناقشه، وسنتكلم عن كل مرحلة منها بالتفصيل.

ما هو التحقيق ؟

التحقيق في اللغة: مصْدَر للفعل حَقَّقَ، نقَلَ الأزهريُّ في «**تهذيب اللغة**» ١/

٨٧٧: (قال الليثُ: الحَقُّ نَقيضُ الباطِلِ، تقولُ: حَقَّ الشْيءُ يَحِقُّ حَقّاً معناه: وَجَب يجب وجوباً، وقال ابن المظفّر: حَقَّقَ الرجُلُ: إذا قال: هذا الشيء هو الحَقُّ، كقولِكَ: صَدَّقَ. وقال شَمِّر: حَقَّقْتُ الأمْرَ وأحْقَقْتُهُ: إذا كنتَ على يَقين منه، وقال ابن الأعرابي: يُقالُ: أحْقَقْتُ الأمْرَ إحقاقاً: إذا أحْكَمْتَه وصَحَّحْتَهُ... ويُقال: حَقَقْتُ الشَّيءَ وحَقَّقْتُه بمعنى واحد).

وجاء في «**المعجم الوسيط**»: (كلام مُحَقَّقٍ: مُحْكَم الصَّنْعَة رَصِين. وحَقَّق القَوْلَ والقضيَّة، وحقَّقَ الشَّيْءَ والأمْرَ: أحْكَمَهُ).

التحقيق في الاصطلاح، عرفه الدكتور مصطفى جواد في «**أصول تحقيق النصوص**» ص٥ بأنه: (الاجتهاد في جعل النصوص المُحَقَّقَة مُطابِقَةً لحقيقتها في النشر، كما وضعها صاحِبُها ومُؤَلِّفُها من حَيْثُ الخَطُّ واللفظُ والمَعْنى).

وعَرَّفَهُ الدكتور حسين محفوظ بأنه: (إخراج الكتابِ مُطابِقاً لأصل المُؤَلِّف أو الأصل الصحيح المَوْثوق إذا فُقِدَت نُسْخَة المُصنّف)[1].

وعرّفه الدكتور عبد الهادي الفضلي في كتابه: «**تحقيق التراث**» ص٣٦: (هو العلم الذي يُبْحَثُ فيه عن قواعد نشر المخطوطات، أو هو دراسة قواعد نشر المخطوطات).

وعرّف الأستاذُ عبد السلام هارون في كتابه «**تحقيق النصوص ونشرها**» ص٢٩ (ط٢) الكتابَ المُحَقَّق بأنه: (الذي صَحَّ عُنوانه، واسمُ مؤلّفه، ونِسبَة الكتاب إليه، وكان متنه أقربَ ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلِّفُه).

بعض مصطلحات التحقيق:

المخطوط: جاء في «**المعجم الوسيط**»: (المخطوط هو الكتاب المكتوب بالخَطّ لا بالمِطْبَعَة، وجَمْعُه مخطوطات).

المطبوع: جاء في «**المعجم الوسيط**»: (ويُقابل المخطوطَ المطبوعُ وهو الكتابُ المنسوخُ بالمِطْبَعَة).

المطبعة: وجاء فيه: (المِطْبَعَة - بكسر الميم - آلة الطِباعة للكتب وغيرها،

(١) مجلة: عالم الكتب، مج١، ص٦٥٠.

وجمعها مَطَابِع. والمَطْبَعَة - بفتح الميم - المَكانُ المُعَدُّ لطباعة الكتب وَغيرها، وجمعها مَطابِع).

التُرَاث: جاء في «**معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**»: (التُراثُ: ما خلَّفه السَلَف من آثار علمية وفنّية وأدبية ممّا يُعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه). فإذا قلنا: «**تحقيق التراث**» فيُراد من كلمة «**التراث**» في هذه العبارة: الكُتُب المخطوطة التي ورَّثها السَلَف للخَلَف.

النَّصُّ: هو الكلمات التي يتألّف منها الأثر (المخطوط).

المتن: هو الجزء الرئيسي من المؤلَّف (المخطوط) مُستَقِلّاً عن شروحه وحواشيه.

الحواشي: هي الكلمات الخارجة عن نصّ الكتاب (المخطوط)، وليست منه، الموضوعة في هوامش الكتاب في الجهة العليا أو السُّفلى أو اليمنى أو اليسرى، وتتضمَّن تعليقات وشروحات على النصّ.

الهوامش: وهي مُرادِفَةٌ للحواشي.

الشروح: هي الكلمات الشارحة للنص الرئيسي (المخطوط) وليست منه، وقد توضع في هوامش الكتاب، أو في كتاب مُسْتقِلّ، وأحياناً قد يكتبها المؤلّف نفسه، وأحيانا أخرى غيره.

الضَّبْطُ: جاء في «**المعجم الوسيط**»: (ضَبَطَ الكتابَ: أصْلَحَ خَلَلَهُ أو صَحَّحَه وشَكَّلَهُ). بينما كان له عند القدامى معنى «**الحِفْظ الجَيِّد**» قال الشريف الجُرْجَاني في كتابه «**التعريفات**» ص١٤٢: (الضبطُ في اللغة: عبارة عن الحزم. وفي الاصطلاح: استماع الكلام كما يحقّ سماعه، ثم فهم معناه الذي أريد به، ثم حِفْظُه ببذل مجهوده، والثبات عليه بمذاكرته إلى حين أدائه لغيره) وكانت صِفَةُ الضَبْط إحدى صفات التعديل لرُواة الحديث وحُفَّاظِه.

التحرير: مُرادِفٌ للضبط، ويُراد به تقويم الكتاب والتأكُّد من صحّته. جاء في «**المعجم الوسيط**»: (حرّر الكتابَ وغيره: أصْلَحَهُ وَجَوَّد خَطَّه). وقال أبو بكر الصُّوَلي في «**أدب الكتّاب**» ص١٥٦: (تحرير الكتاب خُلوصُهُ، كأنه خُلِّصَ من النسخ التي حُرِّرَ عليها وصفا من كدرها).

مُقابَلَة النُسَخ: هي عملية قراءة نُسَخ الكتاب جميعاً وبيان فوارقها من أجل ضَبْطِ نَصّ الكتاب وتصحيحه.

العَرْض على الأصل: إذا نَسَخَ ناسِخٌ مخطوطاً، فعليه بعد الفراغ من النسخ مُعارضة الفَرْع المنسوخ على الأصل المنسوخ منه، أي قراءته ومتابعته حرفاً حرفاً لتصحيح أي خلل أو خطإ نشأ عن النسخ.

النسخة الأم: هي نسخة المؤلِّف المُبَيَّضَة بخط يده، وسُمِّيَت أمّاً لأن كل النسخ المنقولة منها تكون بمثابة ذرِّيتها المُتولّدة عنها.

الأصل أو النسخة الأصلية: هي النسخة التي يعتمدها المُحَقّق أصلاً في عمله من بين عدّة نسخ فينسخ نصّ الكتاب منها، ويقابل سائر النسخ عليها، وقد تكون هي النسخة الأمّ (نسخة المؤلف) ، أو نسخة منقولة عنها إذا فُقِدت النسخة الأمّ، أو أقدم النسخ تاريخاً من بين سائر النسخ.

النُسخ الفرعية: هي التي لا تكون أمّاً ولا أصلاً، وهي التي يقابلها المُحَقِّق على الأصل لبيان فوارقها، ولها أهميّة في بيان كلمة غامضة غير واضحة أو ساقطة من الأصل.

الناسِخ: هو الكاتب الذي يقوم بنسخ المخطوط قبل ظهور الطباعة في القرن العاشر الهجري، وعادة ما يَكتُب اسمَه في آخره وبيان النسخة المنقول عنها، ويجب عليه بعد الفراغ من نسخ الكتاب أن يقابله على الأصل لتصحيحه.

تاريخ النسخ: ويُكْتَب أيضاً عادة في آخر المخطوط، وهو هامٌّ جداً في تقييم النسخة واعتبارها أصلاً أو فرعاً.

السَنَد: هو سلسلة الرِجَال الذين قُرِئَ عليهم المخطوط إلى المؤلِّف، وله أهمية كبيرة في توثيق نسبة لكتاب إلى مؤلفه، وفي توثيق اسم الكتاب، وبيان قيمة النسخة الخطيَّة إذا قرئت أو انتُسِخت من الأئمة الحُفَّاظ الضابطين المُحَرِّرين. ويُكتب عادة في أول الكتاب.

السماعات: إذا قرأ تلميذٌ كتاباً على شيخه فإنه قد يقرأه في مجلس واحِد إذا كان الكتابُ صغيراً، فيكتبُ الشيخُ في آخر الكتاب «**السماع**» وهو: (إن الطالِبَ الفُلاني... - ويسمّيه - قد سمع عليّ هذا الكتاب - أو قرأه عليّ - بحضور جماعة من الأعيان وهم...) ويُسمّيهم، ويكتب تاريخ السماع ويضع توقيعه وخَتْمه ليصادِقَ على صحَّة القراءة. وإذا كان الكتاب كبيراً، واستغرقت قراءته أكثر من مجلس، كتب الشيخُ سماعَ كل مجلس في الهامش، حيث توقفت القراءة، ويكتب تاريخ كلّ سماع. وهذه السماعات لها فوائد كثيرة، أهمها توثيق نسبة الكتاب لمؤلِّفِهِ، وتوثيق اسمه بسماع الأئمة

له وقراءته على الشيوخ الكبار، ومنها إثبات سماع الشيوخ للكتب وصِحّة أسانيدهم بها...

كيف وصلت إلينا المخطوطات؟[١]

كانت الرواية الشفوية هي الوسيلة الوحيدة لنشر العلم، ولكن الرواية العربية اقترنت منذ اللحظة الأولى بالحرص البالغ، والدقة الكاملة والأمانة، لأن الدين يدعو إلى ذلك، ولأن كثيراً من نصوص الكتاب والسُنّة كان شاهداً من شواهد التشريع، وآية من آيات الفتوى، فالتزم القوم الأمانة والحِرص فيها، حين يَرْوُون كلام الله وكلام رسوله ﷺ.

وكانت الكتابة بالنسبة لهم شيئاً جديداً، فالعرب كانوا قوماً أمّيّين لم تنتشر الكتابة بينهم إلّا بدعوة الإسلام وبصُنْع الإسلام، الذي حضّ على العلم، وجعله فرضاً عينيّاً على كل مسلم، ففي أعقاب غزوة بدر اشترط رسول الله ﷺ على المشركين لمُفاداة أسراهم أن يعلّم كل أسير عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة، فكان زيدُ بن ثابتٍ كاتبُ رسولِ الله ﷺ أحَدَ هؤلاء الذين عَلّمهم الأسرى.

أوّل نص مكتوب في الإسلام:

كان العرب في الجاهلية يكتبون أيّامهم ووقائعهم وقصائدهم الشعرية ويعلّقون أنفس قصائدهم على جدران الكعبة، ولهذا سمّيت «**بالمعلقات**». ولما ظهر الإسلام أصبح القرآنُ الكريم هو النصّ العام المكتوب لدى الجميع، ينسخ كل مسلم لنفسه منه نسخة، واستحوذ على المسلمين حياتهم، خاصّة وأن رسولَ الله ﷺ نهى أصحابه في حياته عن كتابة شيء غيره، حدّث أبو سعيد الخُدري أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عنّي شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عَنّي شيئاً سِوَى القرآن فَلْيَمْحُه**» (رواه مسلم في صحيحه). والحكمة في ذلك ظاهرة، وهي الخشية من أن يختلط الوحي بحديث رسول ﷺ في أثناء نزول القرآن.

بعد وفاة النبي ﷺ واستِتْمام نزول القرآن والأمن عليه من الالتباس، وبعد قيام الخلفاء الراشدين بجمعه بين دفتي مصحف واحد ونسخه وتوحيد نصه بين جميع المسلمين، أقبل المسلمون على تدوين علومهم، وبدأوا بتدوين حديث رسول الله ﷺ

(١) عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، ص٩٠ (الطبعة الثانية).

وجمعه من الصدور، ويُذكر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) ظل يستخير الله أربعين يوماً في تدوين الحديث، وخار الله له، فأذن لعلماء الأمصار بجمع حديثهم في الصحف والأجزاء، فأذن لوالي المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت١٢٠هـ) بتدوين الحديث وجمعه من صدرو الرجال، فدوّن ما كان يحفظه وجَمَعَه في كتاب بعث به إلى الأمصار.

ثم انتشر تدوين الحديث في الأمصار بعد ذلك، وظهرت الموطآت والسنن والمسانيد والجوامع والمستدركات والمستخرجات والمعاجم...

ولما استفاض الإسلام واتّسعت رقعته اتّساعاً ظاهراً، أدّى ذلك إلى اختلاط العرب بالعجم، وفسد اللسان العربي، فأقبل العرب على تدوين علم النحو، وتدوين أشعارهم، وخطبهم، وآدابهم ولغتهم، ومعاجمهم، وظهرت فيه أوائل الكتب.

ولما ثارت الفتن، وتفرق المسلمون فِرقاً وجماعات، تفرّعت المذاهب وكثرت الفتاوى الدينية، فكان لا بدّ للناس من كتب في الفقه يرجعون إليها لتكون لهم إماماً، خشية أن يكون عمادُهم أقوالَ مختلف العلماء من أهل البدع من الفِرَق.

وظهرت جهودٌ أخرى في التأليف المبكّر، تتمثل في جمع السيرة النبوية، ومنها السيرة النبوية لابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وأخبار العرب وأشعارها وأنسابها، منها كتاب «**التيجان في ملوك حِمْيَر**» لوهب بن منبه (ت١١٠هـ).

ثم ظهرت الكتب في شتى الفنون الدينية محتفظة بالطابع الذي غلب على المحدّثين وهو إسناد الرواية إلى قائلها أو إلى مؤلف الكتاب، وسرى بين المؤلفين الحرص على الضبط والتصحيح ووضعوا قواعد يلتزمونها في السماع والرواية والقراءة على الشيخ، والاجازة، والمكاتبة، والوجادة، وغيرها من القواعد التي دُوّنت فيما بعد في علم «**مصطلح الحديث**».

الوِرَاقَةُ والوَرَّاقُونَ:[1]

يذكر ابن النديم في «**الفهرست**» ص٢١ أن العرب كانت تكتب في أكتاف الإبل، واللخاف (وهي الحجارة البيض العريضة الرِّقاق) وفي العُسُب (عُسْب النخل) وأنهم بعد ذلك كتبوا في الجُلود المَدْبُوغة. ويَذكُر أن الدِباغة في أول الأمر كانت بالنُّورَة وهي

(١) عبد السلام هارون، **تحقيق النصوص ونشرها**، ص١٤-٢٤ (بتصرّف).

شديدة الجفاف، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لِين، ثم كتبوا في الورق الخراساني، وكان يُعمل من الكتّان، وحدث صُنْعُه في أيام بني أميَّة، وقيل: في الدولة العبّاسيّة، وقيل: إن صُنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني الذي كان يُصْنَع من الحشيش، ويذكر من أنواعه: السُّلَيْماني، والطَّلْحِي، والتُّوحِيّ، والفِرْعَوْني، والجَعْفَرِيّ، والطَّاهِرِيّ...

ويذكر القلقشندي في «**صبح الأعشى**» ٢/٤٨٦ تعليلًا للكتابة في الجلود وهو قوله: (أجْمَعَ رَأيُ الصحابة على كتابة القرآن في الرِّقّ لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ، وبقي الناسُ على ذلك إلى أن وَلِيَ الرَّشِيدُ (ت١٩٣هـ) الخلافة، وقد كَثُرَ الورق، وفشا بين الناس فأمر ألّا يكتب الناسُ إلّا في الكاغِد؛ لأن الجلودَ ونحوها تقبل المَحْوَ والإعادة، فتقبل التزوير،

بخلاف الورق؛ فإنه متى مُحِيَ فَسَد، وإن كُشِطَ ظهر كشطهُ. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار).

ويذكر ابن خلدون في «**مقدّمته**» ص٣٦٧-٣٦٨: عن الورّاقين وصنعة الوراقة: (كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلّات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط، وكان سَبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة... وكثرت التآليف العلمية والدواوين وحَرَصَ الناسُ على تناقلها في الآفاق والأمصار، فانْتُسِخَت وجُلِّدت، وجاءت صِناعَة الوَرّاقين المُعانِين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكُتْبِيَّة والدواوين، واختصَّت بالأمصار العظيمة العِمران).

ويفهم من هذا أن مهنة الوِرَاقَة كانت بمثابة الطباعة الحديثة في عصرنا الحاضِر التي تهتم بنسخ الكتب وتوفيرها للناس، وتتوزّع مهمتهم بين الانتساخ، والتصحيح، والتجليد، والتذهيب، وكل ما يمتّ إلى صناعة الكتب بصلة. وكانت لهم أسواق في بعض الأمصار تباع فيها الكتب المهمّة، وبدأت صناعتهم بالرواج منذ القرن الأوّل الهجري، وكان العلماء يستعينون بالورّاقين في التأليف، ولكن ثقة العلماء بهم لم تكن قوية؛ لأنهم لم يكونوا في الغالب من العلماء من أهل الرواية، بل هم أهل صناعة وتَكَسُّب.

ومِن أشهر الوراقين: خالد بن أبي الهيّاج، وكان موصوفاً بحسن الخط، وكان سعد قد نصّبه لكتابة المصاحف، وكان يكتب الشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك (ت٩٦هـ)، قال ابن النديم في «**الفهرست**» ص٩: (وهو الذي كتب الكتاب الذي في قِبْلة

مسجد النبي ﷺ بالذهب مِنْ: **[والشمس وضحاها]** إلى آخر القرآن، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال: «**أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال**» فكتب له مصحفاً تنمّق فيه.

ومنهم مالك بن دينار السامي البصري (ت١٣١هـ) وكان يكتب المصاحف بأجرة ويتقوَّت بذلك.

وممّن كان يتقوّت بالنسخ من العلماء أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري، نزيل مصر (ت٤٣٠هـ).

وممّن عُرِف بسُرعة الخط: هشام بن يوسف الراوي القاضي، قال عن نفسه: «**قدِم سُفيان الثوري (ت١٦١هـ) اليمن فقالوا: اطلبوا كاتباً سريع الخط. فارتادوني فكنت أكتب**».

نشأة المكتبات[1]:

نَشَأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد، إذْ لم يكن المسجد مكاناً خاصاً للعبادة فحسب، بل كان مركز الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، ومركز إدارة الدولة وتسيير أمورها. كما كان مَحَطّ أنظار المسلمين ومعقد حلقات العلم واجتماع العلماء وتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم والتفسير والحديث وأصول العربية وغير ذلك، ومن ثم فلا عجب من اهتمام الرسول ﷺ ببناء مسجد قباء بعد الهجرة مباشرة، ثم تأسيس مسجده ﷺ في المدينة المنورة في الأيام الأولى من وصوله إليها، ثم كثرت المساجد فيها وفي البلاد الإسلامية، ولما كان المسجد أولى المعاهد في صدر الإسلام، كان لا يخلو من صحف القرآن الكريم وتفسيره، وصحف الحديث وغيره. ويسعنا أن نقول إن أولى المكتبات كانت بيت رسول الله ﷺ حيث كان يجمع فيه ما يدونه كتّاب الوحي من التنزيل الحكيم، ثم نقلت الصحف من بيت الرسول ﷺ ومن عند الصحابة إلى بيت أبي بكر، بعد أن جمعت في مصحف في عهد الصديق على يد زيد بن ثابت رضي الله عنه أحد كبار كتاب الوحي وحُفّاظه، ثم حُفِظَت هذه الصحف عند عمر بن الخطاب أيام خلافته، وبقيت عند حفصة رضي الله عنها إلى أن استعارها عثمان بن عفان رضي الله عنه منها ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلى الأقطار الاسلامية، ثم ردها إليها.

إلى جانب هذا كان لبعض الصحابة والتابعين كُتُبٌ في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد، فقد كان عند سعد بن عبادة الأنصاري (ت١٥هـ) كتاب أو

(١) محمد عجّاج الخطيب، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، ص٣٥، (بتصرّف).

كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ، وعند عبد الله بن مسعود مصحفه المشهور وصحف أخرى بخطه، وعند أسماء بنت عميس (ت٣٨هـ) كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول ﷺ وقد اشتهرت

صحيفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ) التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء في الجراحات، وحرم المدينة ولا يقتل مسلم بكافر.

وكان عند أبي هريرة رضي الله عنه (ت٥٩هـ) كتب كثيرة فيها حديث النبي عليه الصلاة والسلام. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) يحفظ كتبه وصحفه في صندوق له حلق، كما كان لابن عباس (ت٦٨هـ) كتب كثيرة بلغت حمل بعير !!! وكان عند عبد الله بن عمر (ت٧٣هـ) كتب كان إذا خرج إلى السوق نظر فيها.

وكان عند عروة بن الزبير (٢٢-٩٣هـ) كتب احترقت يوم الحَرَّة فحزن عليها وكان يقول (وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي).

وأوصى أبو قلابة: عَبْدُ الله بن زيد الجرمي (ت١٠٤هـ)، أحدُ كبار التابعين بكتبه لأيوب السختياني (٦٨-١٣١هـ) فجيء بها في عدل راحلة. وقال الحسن البصري (٢١-١١٠هـ): إن لنا كتباً نتعاهدها.

وأخبار الكتب والمكتبات كثيرة جداً، وإنما سقنا ما سلف لنبين اهتمام المسلمين بالعلم أفراداً ومسؤولين، رعاة ورعية، وقد كثرت المكتبات العامة منذ أواخر القرن الهجري الثاني، وأمدَّها الخلفاء والأمراء والمسؤولون بما تحتاج إليه من الموظفين والمواد الكتابية وما يلزم لتجليد الكتب وغير ذلك، وزودوها بأمهات الكتب في مختلف العلوم، وتَبارَى الخلفاء والأمراء في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها وفي الأندلس في الحصول على أنفس الكتب وأندرها، حتى زخرت خزائن المكتبات العامة بآلاف المجلدات، وقد رُوِي أن خزانة قرطبة ضمت أربعمائة ألف مجلد إبّان ازدهار الخلافة في الاندلس، في حين أن شارل الخامس ملك فرنسا في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الرئيسية أكثر من (٩٠٠) تسعمائة مجلد خُمسها في اللاهوت.

وإن المقام لا يتسع لذكر جميع المكتبات في البلاد الإسلامية عبر العصور. وسنكتفي بذكر أشهر المكتبات في البلاد الإسلامية فيما مضى، ثم نتبع بهذا أشهرها في العصر الحاضر:

١ - **دار الحكمة**: أو بيت الحكمة، أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد.

٢ - **دار العلم**: وهي خزانة العبيديين بمصر، ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة، التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع في دار العلم كتباً كثيرة، وأقام فيها المسؤولين وخصص لهم الجرايات، وجعل في المكتبة ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق. وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى.

٣ - **مكتبة قرطبة**: كثرت المكتبات في الأندلس وبلغت نحو سبعين مكتبة أيام الخلافة سوى المكتبات الخاصة، وأعظم تلك المكتبات وأشهرها مكتبة قرطبة التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) الذي كان له وكلاء في البلاد الإسلامية الكثيرة، يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من المؤلفات، وبهذا أثرى المستنصر مكتبة قرطبة بما لا يُحدُّ ولا يُعَدُّ ولا يوصف من الكتب، وقد روي أنها جمعت أربعمائة ألف مجلد.

٤ - **مكتبة ابن سوار بالبصرة**: أسس هذه المكتبة أبو علي بن سوار الكاتب.

٥ - **خزانة سابور**: أنشأ هذه الخزانة سابور بن أردشير (ت٤١٦هـ) سنة (٣٨٣هـ) بالكرخ وسماها «**دار العلم**» وزودها بكتب كثيرة زادت على عشرة آلاف كتاب في مختلف العلوم.

٦ - **خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي ببغداد**: أنشأها أبو الحسن علي بن أحمد الزيدي (ت٥٧٥هـ).

٧ - **مكتبة رامَهُرْمُز**: أنشأها ابن سوار في مدينة «**رام هرمز**» على غرار مكتبته بالبصرة.

ولا بد لنا في هذا المقام من أن نذكر مكتبات المدارس التي أُلحِقت بهذه المؤسسات العلمية التي كثرت في شرق الدولة الإسلامية ومغربها، فقلما خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنتاج الفكري الإسلامي الذي تفتَّح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، ومكتبات مدارس دمشق ومكتبة المدرسة الفاضلية بالقاهرة وغيرها من المكتبات. هذا إلى جانب الخزائن النفيسة الملحقة بأكثر المساجد في مختلف أنحاء الدولة الاسلامية.

وإلى جانب هذه المكتبات ألحق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم

وبيوتهم مكتبات ضخمة، فقد كان للفتح بن خاقان (ت٢٤٧هـ) وزير المتوكل الخليفة العباسي مكتبة جامعة، وللمبشر بن فاتك (ت٤٨٠هـ) أحد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيِّمة في العلوم الرياضية والحكمية وغيرها. . وكان للخليفة الناصر لدين الله (ت٦٢٢هـ) مكتبة كبيرة جداً، كما كان للخليفة المستعصم بالله (ت٦٥٦هـ) مكتبة ضخمة في داره فيها نفائس الكتب في مختلف العلوم.

ولم تكن المكتبات في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها مقصورة على أولي الأمر من الخلفاء والأمراء والوزراء، بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماماً منقطع النظير، وقد وقف كثير من العلماء كتبهم على طلاب العلم، حتى إن الإمام الحافظ أبا حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ) وضع مؤلفاته الكثيرة في دار خاصة في بلده (بُسْت) وجعلها وقفاً لأهل العلم.

ولم يقتصر النشاط العلمي واقتناء الكتب وإنشاء المكتبات على الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم، بل تعدَّاهم إلى غيرهم، إذ كانت حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخه من كتاب نادر مجالاً كبيراً للتفاخر والاعتزاز.

نشأة التحقيق وتطوّره:

قبل نشوء الطباعة في القرن العاشر الهجري كان المسلمون يكتبون كتبهم بأيديهم، وكلّ من أراد الحصول على كتاب ليقتنيه أو ليقرأه على الشيوخ بحث عن أصل صحيح مضبوط لهذا الكتاب، وكثيراً ما تكون الأصول مَوْقُوفَةً في المدارس أو المساجد حَسَب أحكام الوقف مِنْ عَدَم جواز بيعها وشرائها، وإباحة النسخ منها لكل مسلم، فيجلس من أراد الكتاب في المدرسة أو المسجد وينسخه، أو يستأجر من ينسخه له بالأجرة، كما كانت هناك مهنة الوراقة، وهي بمثابة دور النشر في زماننا، وكان الورّاقون ينسخون الكتب المهمّة ويبيعونها، فينسخون من الكتاب الواحد عدّة نسخ عند الحاجة من أجل ذلك تعدّدت نسخ بعض الكتب المشهورة، التي قد تبلغ مائتين أحياناً، وإذا فرغ الناسخ من نسخ نسخته قابل الكتاب وصحّحه.

يقول الأستاذ علي النجدي ناصف في كتابه «**سيبويه إمام النحاة**» ص١٥٤-١٥٥: (كان للمسلمين القدماء عنايةٌ ملحوظة بضبط النصوص والمحافظة على صحّتها، كانوا يَرْوُونَ أخبارها بالسند حتّى يرفعوها إلى أصحابها على نحو ما كانوا يصنعون بأحاديث الرسول ﷺ، وكانوا ينسبون نسخ الكتب التي يكتبونها فَرْعاً إلى أصل حتى يبلغوا بها أوائلها التي تَحدَّرَتْ منها، وكانوا يقرؤونها مُعارَضة على الأصول التي ينقلون عنها) ثم

يشير إلى سند «**كتاب سيبويه**» بقوله: (وهذا مثلًا ما جاء في أول النسخة الخطّيّة المحفوظة في دار الكتب المصرية برقم ١٤٠ عن نسبتها إلى سيبويه: قال أبو عبد الله محمد بن يحيى: قرأتُ على ابن ولّاد وهو ينظر في كتاب أبيه، وسمعتُه يقرأ على أبي جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن النحّاس، وأخذه أبو القاسم بن ولّاد، عن أبيه، عن المُبَرِّد، وأخذه أبو جعفر عن الزجّاج، عن المُبرِّد، ورواه المُبَرِّد عن المازني، عن الأخفش، عن سيبويه).

وهذا يعني أن المُسلمين اهتموا بضبط كتبهم وتصحيحها وعرفوا التحقيق قديماً، وأنه كان منهجهم المُتَّبع في التأليف والنسخ قبل ظهور الطباعة في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي.

ظهور الطباعة وتحقيق المخطوطات

الطباعة هي استنساخ أكثر من نسخة لكتاب واحد تكون كلّها بمثابة الصورة له. وهي نوعان: تنضيد الحروف، وتصوير الأصل.

(أولًا) تنضيد الحروف: إن عملية تنضيد الحروف تقوم على صَفّ الكتاب وفق حروف طباعية مسبوكة موجودة في الآلة، تعتمد نوعاً من أنواع الخطوط العربية، والغالب فيها هو خط «**النسخ**» اليوم، وبعد عملية التنضيد يجري سَحْبُ نسخةٍ واحدة تُدْفَع لمُصَحِّح طِباعيّ يقابل الصفحة المطبوعة على الأصل المخطوط ليصحّح الأخطاء التي قد تنتج عند التنضيد من الطابع، ثم يعيدها للطابع ليقوم بتصحيحها، وسحب آلاف النسخ من هذه الصفحة.

(ثانياً) التصوير: وهي عملية تصوير للأصل المخطوط، ويمكن بها توفير آلاف النسخ من أصل مخطوط بخط مؤلفه، أو غيره.

إن عملية الطباعة توفّر من الكتاب الواحد مئات الآلاف من النسخ في وقت قصير جداً، كانت تحتاج لآلاف النسّاخ ومئات السنين وفي هذا فائدة كبيرة لجمهور القُرّاء، توفّر عليهم الجهد والوقت.

ظهرت الطباعة منذ خمسة قرون، وطُبع أول كتاب عربي بمدينة فانو بايطاليا سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤هـ، وطُبع القرآن الكريم باللغة العربية لأول مرة بطريقة التصوير عام ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م في البندقية.

ثم طبع كتاب «**الكافية في علم النحو**» لابن الحاجب، عثمان بن عمر المالكي (ت٦٤٦هـ) في روما سنة ١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢م. وطبع فيها في السنة نفسها مختصر كتاب «**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**» للشريف الإدريسي الصقلّي (ت٥٦٠هـ). ثم توالى طبع الكتب العربية بعد ذلك، وكان الطبع أول أمره بدائياً، لا جمع فيه للنسخ ولا مقابلة ولا اعتناء.

المستشرقون والتراث الإسلامي !

(الاستشراق) يعني دراسة أحوال الشرق الإسلامي، ويقابله الغرب الصليبي في أوروبا.

(والمستشرقون) هم في غالبهم من رجال الدين **(الكهنوت)** اليهودي والمسيحي.

نشأة الاستشراق وأهدافه: نشأ الاستشراق في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي عقب الحروب الصليبية ومحاولة الصليبيين احتلال العالم الإسلامي، وانهزامهم على أيدي صلاح الدين الأيوبي، وعودتهم إلى أوروبا وهم يجرّون أذيال الفشل والخَيْبَة والهزيمة، ويفكّرون في إعادة الكَرَّة على العالم الإسلامي وغزوه بأسلوب آخر، غير الحملات العسكرية، وكانت الغاية من إنشائه دراسة أحوال الشرق الإسلامي، والتعرّف عليه جيّداً لمعرفة سِرّ قُوّته وضعفه، لإعادة الكرّة عليه من جديد والقضاء عليه نهائياً.

لقد كان لظهور الإسلام، الدين السماوي الخاتم، الناسخ لجميع الشرائع والملل السابقة، في جزيرة العرب، وتوسُّعه وامتداده في الأرض خلال ربع قرن، وبسط نفوذه على قارّات العالم القديم على حساب الحضارتين الرومانية المسيحية في الغرب، والفارسية في الشرق، أكبر الأثر في نفوس أعدائه المنهزمين أمام جيوشه وجحافله الهائلة الزاحفة، الذين زالت حضارتهم فجأة، وأُسْقِطَ في أيديهم، وأخذوا يفكرون في استرجاع أمجادهم، ويتربّصون بهذه الحضارة الإسلامية العتيدة الدوائر، ويتحيّنون فُرَصَ ضَعفِها للانقضاض عليها، ويخطّطون لإعادة الكرّة عليها وإطفاء نورها **[يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتِمُّ نوره ولو كَرِهَ الكافرون (هو الذي أرسل رسولَه بالهُدَى ودين الحَقّ ليُظْهِرَهُ على الدين كُلِّه وله كره المشركون]** [الصف، الآية ٨-٩].

مرحلة الدِفاع:

كان هَمُّ الاستشراق أوّل أمره منع الزحف الإسلامي من الوصول إلى أوروبا، ومنع انتشار «**نور الله**» الإسلام فيها، وقد قام المستشرقون لتحقيق هذا الغرض بتأليف الكتب الكثيرة عن الإسلام والقرآن والنبي محمد ﷺ لتشويه صورة الإسلام في نظر الأوروبيين، وتحصين فكرهم ضدّه، وتصويره على أنه دينُ عُنف، وقتال، وإرهاب، وإجرام، وسفك دماء - وهو ما فعله الصليبيون أثناء الحملات الصليبية التسع على العالم الإسلامي - وتكذيب كتاب الله «**القرآن**»، والتشكيك بأنه كتاب سماوي منزل من عند الله تعالى، وأنه من تأليف محمد ﷺ، وقد كان لشخصية رسول الله ﷺ النصيب الأوفى من كتاباتهم، فقد شكّكوا بنبوّته ورسالته وصوّروه على أنه عبقري استطاع جمع كلمة العرب حوله، ليفتح الدنيا ويغزوا العالم ويستبدّ بخَيْراتِه وثرواته، وينهب شعوب الأرض - وهو ما أرادوا هُمْ فِعْلَه في الحروب الصليبية وأغروا به شعوبهم لاجتياح العالم الإسلامي - وقد ظهرت آلاف الكتب على أيدي رجال الكهنوت (المستشرقين) لتحقيق هذه الأهداف.

مرحلة الهجوم:

ثم انتقل الغرب الصليبي في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي، وبتحريض من اليهود، من مرحلة الدفاع إلى الهجوم، بعد أن تمّت دراسة أحوال الشرق دراسة تامّة على أيدي المستشرقين، وبعد أن عرفوا ثقافته وطبائعه وجغرافيته وتشكيلته الاجتماعية، وكيف يمكنهم اختراقه، وبدأوا بمدّ الجسور الخفيّة بينهم وبينه، واتخذوا لهم بداخله أصدقاء يقومون بدور التجسّس ونشر الأفكار الهدّامة المُشَكِّكة للشعوب الإسلامية بدينها، وأخذوا يصوّرون لأهل الشرق تَقَدُّمَ الغرب ورقيَّهُ وتمدُّنه، ويُغرونهم بالذهاب إليه، فاجتذبوا إليهم من أهل الشرق المفتونين بهم بعثات «**ثقافية**» لتحمل فكر الغرب الصليبي الحاقد إلى الشرق، وتعود إلى بلادها وتنشر أفكارهم، وعملوا مئات السنين على زرع «**قواعد**» و«**محافل**» في الشرق لتخريب العالم الإسلامي من الداخل، وتشكيك المسلمين بدينهم.

الغزو الثقافي:

لقد قام الغرب الصليبي بغزو ثقافي مُخطَّط ومدروس طوال خمسة قرون، لنشر الفكر العلماني الإلحادي بين المسلمين لإبعادهم عن دينهم، حتى استطاع إنشاء جيل

علماني، وتدمير البُنيَة الفكرية والثقافية والعقائدية عند المسلمين، وقام لتحقيق هذا الهدف بإنشاء «**الأندية**» و«**الجمعيات**» و«**المحافل**» السّريّة، التي استقطبت كبار رجالاتهم بإغراءات ثلاث: المال، والمرأة، والمَنْصِب، حتى وصلوا إلى مراكز السلطة العليا.

إشعال الثورات في الداخل:

يذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه «**حاضر العالم الإسلامي**» أن الغرب قام بمائتي محاولة منذ الحروب الصليبية إلى زمن الحرب العالمية الأولى لغزو الشرق الإسلامي، والقضاء عليه وتفتيته، ومنها «**حملة نابليون بونابرت**»، وأنها لما باءت كلّها بالفشل، عَدَلوُا عن فكرة الغزو المسلّح إلى فكرة إشعال الثورات الداخلية على الحكومة المركزية الإسلامية (الخلافة) لتفتيت العالم الإسلامي وإضعافه داخلياً بالثورات، ومنها ثورة الأمير بشير الشهابي الذي اتصل بالصليبيين في إيطاليا، ومحمد علي باشا وولديه إبراهيم وطوسون الذين اتصلوا بالصليبين في فرنسا، ومحمد عبد الوهاب، والشريف حسين اللذَيْن اتّصلا بالصليبيين الإنجليز، وقد أمَدّ الصليبيون جميع هؤلاء بالسلاح والأموال، وشجّعوهم وحرّضوهم على الثورة والاستقلال والانفصال عن دولة الخلافة.

الاجتياح والغزو العسكري:

مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي بلغ العالم الإسلامي في داخله أقصى درجات الضعف والتفكُّك بالثورات الشعبية وإثارة النعرات الطائفية، ووصل العُملاء في الداخل إلى مراكز السلطة العليا، عندها خطّط اليهود لإشعال حرب كونية لتغيير أوضاع العالم، وتحقيق أهدافهم، كان من أكبر أهدافها إزالة دولة الإسلام (**الخلافة**) المركزية القوية الجامعة لجميع دول العالم الإسلامي، واستعانوا لتحقيق أهدافهم بالغرب الصليبي الحاقد، وحرّضوه على شنّ أكبر حملة عسكرية مسلّحة، وإعادة الكرة لاجتياح العالم الإسلامي من جديد، وكانت هذه الحملة عنيفة ومركزة هذه المرة وهي الحادية عشرة، عقب الحملات الصليبية التسع، وحملة بونابرت العاشرة، فأرسلوا أساطيلهم البحرية واحتلُّوا جميع دوله بجيوشهم العسكرية المسلّحة.

آثار احتلال العالم الإسلامي:

جلس المحتلّون على طاولة المفاوضات في معاهدة «**سايكس بيكو**» ليتقاسموا الغنائم وليتّفقوا على حُكْم هذه الدول، والسيطرة على مُقدّراتها، ونهب ثرواتها وخيراتها، واستعمارها، واستعبادها، وقهرها، وإذلالها، وأعطى الوزير الإنجليزي

«**بَلْفُور**» وَعْدَه المَشْؤُوم لليهود بمساعدتهم على إقامة دولة «**إسرائيل**» في فلسطين لتكون خنجراً في قلب العالم الإسلامي، لا يقوى بعده على النهوض أبداً !

فأنشأوا حكومات محلّية في كُلّ بلد إسلامي، وأمَّروا عليها عملاءهم الذين تربّوا في محافلهم، وقلبوا أنظمة الحكم ودساتير هذه الدول وتشريعاتها الإسلامية وفرضوا عليها تشريعاتهم ودساتيرهم الغربية، وأمعنوا في طمس معالم الإسلام والشخصية الإسلامية، لكيلا تقوم للإسلام قائمة بعد ذلك !

المستشرقون والتراث الإسلامي:

لقد كان للاستشراق دور كبير في عملية غزو العالم الإسلامي، فهو الذي مهَّد له بدراسة أحوال الشرق، وبالغزو الثقافي الذي سبق الغزو العسكري المسلّح بمئات السنين.

بدأ اهتمام المستشرقين بالتراث الإسلامي ونقله إلى الغرب بشتّى الطرق، للاستفادة منه، وإبعاد أهله عنه. وتحقيقه وإخراجه مع ظهور الطباعة في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي، وكان عملهم لا يتعدّى حدود الطبع البدائي، الذي كان يُعْتَمَدُ فيه غالباً على نُسخة واحدة، وقد تكون غير مُصحّحة، ولا مُعْتَنى بها فنّياً.

ثم تطور العمل، وأصبحوا يهتمّون بجمع نُسَخ المخطوط الواحد، ومقابلة النُسَخ، وتدوين الاختلافات في الهوامش، وأصبح التحقيق «**صناعة**» تعتمد على الخبرة المستفادة من التجارب المتكرّرة حتى حلول القرن الثالث عشر الهجري / التاسع الميلادي.

مشاهير المحقّقين من المستشرقين:

من أشهر مُحَقّقي المستشرقين الذين قاموا بتحقيق بعض المخطوطات العربية:

١ - المستشرق الألماني بيترمن (١٨٠١-١٨٧٦م) الذي رجع إلى أوروبا ومعه مجموعتان من المخطوطات !

٢ - المستشرق الألماني يوهان تغريد فيتشاين (١٨١٥-١٩٠٥م) الذي كان يعمل قنصلًا لبروسيا في دمشق بين عامَيْ (١٨٤٨-١٨٦٢م) واقتنى أربع مجموعات من المخطوطات ! نقل منها مجموعتين إلى برلين، ومجموعة إلى لايْبْتْسِج ؛ ومجموعة إلى تُوبِنْجِن[١].

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص٦٤.

٣ - المستشرق الألماني ألوبيس شبرنجر (١٨١٣-١٨٩٣م) الذي ظل مقيماً بالهند عاملاً في ميادين التعليم والمكتبات والثقافة العامة، ولمّا عاد نهائياً إلى أوروبا أحضر معه مجموعة من الكتب تقرب من (٢٠٠٠) مجلّد، انتقلت ملكيّتها بعد ذلك بقليل إلى مكتبة برلين[١]!

٤ - المستشرق الفرنسي كوسين دي برسنال (ت١٨٣٥م) الذي نشر «**المعلّقات السبع**» و«**أمثال لقمان**» و«**مقامات الحريري**».

٥ - المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي (ت١٨٣٨م) الذي نشر «**ألفية ابن مالك**».

٦ - المستشرق الألماني غوستاف فلوجل (ت١٨٧٠م) الذي نشر كتاب: «**كشف الظنون**» لحاجي خليفة، و«**الفهرست**» لابن النديم، و«**تاج التراجم في طبقات الحنفية**» لقاسم بن قطلوبُغا.

٧ - المستشرق الألماني هاينريخ لبرخت فليشر (ت١٨٨٨م) الذي نشر: «**تفسير البيضاوي**» و«**المُفَصَّل**» للزمخشري.

٨ - المستشرق الألماني فرديناند فستنفلد (ت١٨٩٠م) الذي نشر: «**تذكرة الحُفّاظ**» للذهبي، و«**سيرة النبي**» لابن هشام، و«**وفيات الأعيان**» لابن خلّكان، و«**معجم البُلدان**» لياقوت الحموي.

٩ - المستشرق الإسباني: بسكوال دي جاينجوس (ت١٨٩٧م) الذي نشر «**تاريخ فتح الاندلس**» لابن القوطيّة.

١٠ - المستشرق الإسباني: يونس بريخس (ت١٨٩٩م) الذي نشر «**حيّ بن يقظان**» لابن طفيل.

جهود العرب في التحقيق

عرف العرب القُدامى التحقيق والضبط والتعليق في مؤلفاتهم ونسخ مخطوطاتهم قبل الأوروبيين بزمن مديد، ولما ظهرت الطباعة في البلاد العربية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع الميلادي، بعد ظهورها في أوروبا بثلاثة قرون بدأ العرب ينشرون

(١) المصدر نفسه ص٢٢-٢٣.

تراثهم الثقافي نشْراً بِدائياً، كما بدأ الغربيّون يعتمدون فيه غالباً على نسخة واحدة للمخطوط ويكتفون بتصحيحها، بينما كان الأوروبيون قد اكتسبوا خبرة طويلة عبر ثلاثة قرون، في نشر المخطوطات العربية مُحقَّقة ومعتنى بها.

وكان يقوم في هذه الفترة بالاعتناء بالكتاب فئتان من الناس في أوساط المسلمين هم النُسَّاخ والمُصحّحون.

(النُسَّاخ) وهم الذين يقومون بنسخ الكتب - لِما عرفوا به من جودة الخَط - لطباعتها على الحجر، وغالباً ما يُذكر اسم الخطّاط الناسخ للكتاب في آخر الكتاب، وقد يُذكر أسفل صفحة العنوان.

والطباعة على الحَجَر: هي أن يكتب الناسخ النصّ على حجر جيري مُبَلّل بمحلول صمغي بِمداد (حبر) دُهْنِي مُكوَّن من الشمع والصابون والصناج، فعندما كان هذا الحجر يُغَطَّى بحبر الطباعة، كان الحِبْرُ لا يعلق إلا بالكتابة، ولا يُمسِك بباقي الحجر (١).

ومن النسّاخ المشهورين محمد علي بن ملّا، ومن منسوخاته كتاب **«أنوار التنزيل»** للبيضاوي، ناصر بن عبد الله، وقد تم نسخه ونشره على الحجر بإيران سنة ١٢٨٣هـ.

ومما طُبع على الحجر خلال هذه الفترة مكتوباً بخطوط النُسّاخ ما يلي:

١ - حاشية العطّار على شرح الأزهرية في النحو، طبع بمط. الأفندي في القاهرة عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م.

٢ - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار، لمحمد بن عبد الرحمن الجَزولي المغربي (ت٨٧٠هـ) طبع بديوان المدارس الزكية بالأزبكية بمصر ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م.

٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت٦٠٦هـ) طبع بإيران ١٢٦٩هـ / ١٨٥٣م.

٤ - حاشية العطار على شرح إظهار الأسرار في النحو، طبع بالآستانة ١٢٦٦هـ / ١٨٥٣م.

٥ - البهجة المرضية في شرح الألفية للسيوطي، طبع بإيران ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م.

---

(١) انظر: تاريخ الأدب، لحفني ناصف ص١١٠، **وتاريخ الكتاب مِن أقدم العصور إلى الوقت الحاضر**، ص٢٦٦-٢٦٧، تأليف سفندرال، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة ١٩٥٨م.

المصَحّحون:

وهم الذين كانوا يقومون بنسخ الكتب وضبطها وتصحيحها أثناء الطبع على الحروف، والكثير من المخطوطات التي نُشرت في مصر واسطنبول ولبنان أثناء هذه الفترة كان باعتناء المصحّحين.

وقد يشير ما نقرأه على أغلفة بعض الكتب الآن إلى التصحيح بمعنى الضبط الذي يعني ما يقوم به المصحّحون عند نسخهم للكتاب إعداداً لطبعه. وغالباً ما كان يضع المصحّحون أسماءهم في أواخر الكتب.

ظهور المطابع في الدول العربية:

كان لبنان أوّل بلد عربي دخلته الطباعة عام ١٠١٩هـ / ١٦١٠م، وكانت أول مطبعة أنشئت فيه «**مطبعة دير قَزْحَيّا**» وقد أنشأها رجال الدين المسيحي (اللاهوت) لطبع الإنجيل والكتب المسيحية، وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي انتشرت المطابع في لبنان وغيره من الدول العربية، فأنشئت مطبعة بولاق بمصر عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م، والمطبعة الإنجليكانية الأمريكية ببيروت عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، والمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م، ومطبعة ولاية سورية بدمشق عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م ومطبعة جريدة فرات بحلب عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م.

ومن أمثلة الكتب المطبوعة على الحروف:

١ - سرّ الفصاحة. لابن سنان الخَفاجي (ت٤٦٦هـ) صحّحه وعلّق عليه عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مط. محمد علي صبيح، عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٢ - شرح مقامات الحريري، لأحمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت٦١٩هـ) نشر وتصحيح محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، المط. المنيرية بالأزهر، ط١، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

٣ - المنتحل، للثعالبي، صحّحه وشرحه أحمد أبو علي، الإسكندرية، المط. التجارية ١٣١٩هـ / ١٩٠١م.

٤ - النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري (ت٢١٤هـ) صحّحه سعيد الخوري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط.٢

٥ - مجاني الأدب في حدائق العرب، عني بجمعه وضبطه وتصحيحه لويس شيخو، بيروت ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م.